عدو في الفضاء

محمود سالم

عدو في الفضاء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عدو في الفضاء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٧٨٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
أقمار صناعية ... ومهمات تجسُّس!	١١
مهمة ... بين الأرض والقمر!	١٧
معركة قبل المعركة!	٢٣
لحظةُ الانطلاق!	٢٧
خطوة ... ولغم فضائي!	٢٩
ديناصور الفضاء!	٣٥
حيلة القمر «أكس٩»!	٣٩
المعركة الأخيرة!	٤٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

أقمار صناعية ... ومهمات تجسُّس!

رانَ الصمتُ العميقُ على قاعة العرض السينمائي بالكهفِ السريِّ للشياطين ... وكانت هناك موسيقى هادئة تنبعث من مكان ما بالقاعة الصغيرة، كما كانت الإضاءةُ خفيفةً شاحبة تُعطي جوًّا من الرومانسية والاسترخاء ...

ولكن هذا لم يكن حالَ الشياطين الأربعة الجالسين في القاعة بأيِّ حال ... فبرغم أن الاستدعاء الذي جاءهم منذ وقتٍ قليل لم يكن ملحًّا وعاجلًا، إلا أنهم فضَّلوا تنفيذَه على الفور ... وفي قاعة العرض السينمائي اكتشف «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«رشيد» أنهم فقط الذين تلقَّوا الاستدعاء ... مما يقطع بأن المغامرة أو المهمة القادمة ستقتصر عليهم هم الأربعة فقط، وهو عكس ما كان يفعله رقم «صفر» دومًا، بأن يستدعيَ الشياطين الـ «١٣» بأكملهم ثم يُكلِّف بعضَهم بالمهمة القادمة.

كان الشياطين الأربعة يتساءلون في تلك اللحظة، تُرى ما الذي غيَّر ذلك النظام القديم؟! ... وهل لدواعي السرية الشديدة علاقة بالمهمة القادمة؟

هكذا كان يفكر الشياطين الأربعة الجالسون في صمتٍ ينتظرون إظلامَ القاعة وحضورَ رقم «صفر»، وكان من الواضح أن نظام الإضاءة الخافتة والموسيقى الهادئة كان مقصودًا به تهدئة الشياطين الأربعة وطرْد الانفعال عنهم، ولكنها أدَّت إلى النتيجة العكسية تمامًا.

تُرى هل كان هذا ما يقصده رقم «صفر» بالضبط؟

واقتربَت خطواتُ رقم «صفر» إلى داخل القاعة مقترنةً بالظلام التام الذي سادها ... وساد السكوتُ لحظةً قصيرة قبل أن تُضاءَ شاشةُ العرض السينمائي إضاءةً خافتة، وجاء صوتُ رقم «صفر» مختصرًا قصيرًا: مرحبًا!

ردَّ الشياطين التحيةَ القصيرة والتي أوحَت لهم لهجتُها بأن هناك أمرًا خطيرًا ينتظرون سماعه ... ربما أخطر ما واجههم في حياتهم العملية الحافلة بالمغامرات والمهام القتالية الرهيبة ...

ودار سؤالٌ في ذهن «أحمد»: تُرى هل تتعلق المهمة القادمة بكيان الشياطين أنفسهم، وببقائهم فوق رقعة الوطن العربي يمارسون من خلال عملهم التصدِّي لأيِّ محاولات للنَّيل منه؟

وقطع حبلَ أفكار «أحمد» صورةُ الكرة الأرضية التي ظهرَت فوق شاشة العرض السينمائي ضخمة كبيرة متألقة بقاراتها وبحارها وجبالها ووديانها ... وقد ظهرَت بعضُ الكواكب والأقمار البعيدة ضئيلةً صغيرة شاحبةَ الإضاءة.

وجاء صوتُ رقم «صفر» يقول: هذا هو مكان مغامرتكم القادمة ... الكرة الأرضية وما حولها! قال «عثمان» ضاحكًا: لقد ظننتُ من جوِّ «الإثارة» المحيط بنا، أن مهمَّتَنا القادمة ستكون فوق القمر لا في الأرض!

وعلى الفور أجاب رقم «صفر»: هذه هي الحقيقة بالضبط!

وقبل أن يكبح «رشيد» من ردِّ فعله، صاح: ماذا؟!

وتبادل الشياطين الأربعة نظرةً متسائلة تحمل أقصى معاني الاندهاش، تُرى ما الذي قصده رقم «صفر» بأن مهمتهم ستكون فوق القمر؟! ... هل يقصد أيَّ مكان على الأرض يُطلق عليه هذا الاسم ويتلاعب بالألفاظ بقصد إثارتهم؟!

وأجاب رقم «صفر» على ذلك الخاطر في التوِّ: إنني أقصد القمر الحقيقي ... القمر الأرضي ... إن مهمتكم القادمة تقع في مكان وسط بين الأرض والقمر ... لقد كنت أقصد ما قلته بكل تأكيد ... إن مهمتكم القادمة مهمة فضائية ... ستدور كلُّ أحداثها بعيدًا عن الأرض بمئات الكيلومترات. وسكت رقم «صفر»، وتعالى صوت أنفاس الشياطين من المفاجأة غير المتوقعة ... لقد كان رقم «صفر» رجل المفاجآت حقًّا!

وتساءل «أحمد» قائلًا: أعتقد أن استدعاءَنا نحن الأربعة كان مقصودًا منذ البداية وكان علينا أن نتوقع السبب ...

– بالضبط يا «أحمد» ... لا تنسَوا أنكم أنتم الأربعة تلقَّيتم في بداية التحاقكم بالشياطين الـ «١٣» تدريبًا خاصًّا على أجهزة الفضاء ومراكب الفضاء ... لقد كانت تعليقاتكم وقتَها تحمل مزيجًا من الاندهاش والاستخفاف بذلك التدريب الذي رأيتم أنه ضربٌ من الخيال والمستحيل ... وها هي اللحظة التي تم تدريبكم لأجلها منذ سنوات ... قد أتت ... إننا لا نقوم بأي شيء ... اعتباطًا ... أو صدفةً.

تصاعدَت إثارةُ الشياطين الأربعة بعد كلمات رقم «صفر» حتى وصلَت إلى الذروة، ولو انفجرَت قنبلةٌ خلف رءوسهم ما انتبهوا إليها، بسبب كلمات رقم «صفر» التي شدَّتهم تمامًا واحتاروا في تفسيرها، تُرى أية مهمة تنتظرهم في الفضاء، في تلك المساحة الهائلة التي تفصل كرتَهم الأرضية عن القمر؟

وجاء صوت رقم «صفر» الهادئ يقول: منذ سنوات بعيدة بدأَت محاولةٌ للسيطرة على الفضاء، وبالذات المساحة الفضائية الواقعة حول الأرض، وبعد أن تأكَّدَت القوتان العظميان من استحالةِ تفوُّقِ إحداهما على الأخرى، بفضل تشابُهِ الأسلحة واستحالةِ خروجِ أيِّ منتصر منها في حالة نشوب أية حرب بينهما، خاصة إذا كانت حربًا نووية ... منذ ذلك الحين بدأ التفكير في غزو الفضاء وعسكرته ... بمعنى أن تحتلَّ قوةٌ ما الفضاءَ المحيطَ بالأرض وتشغله بأسلحتها ليكون منطقةَ نفوذٍ تابعة لها؛ ولذلك حدث نوعٌ من التسابق الزمني الرهيب في غزو الفضاء، فكان الاتحاد السوفييتي هو أول من أطلق سفينةً فضائية خارج الغلاف الجوي للكرة الأرضية في رحلة «جاجارين» الشهيرة، والتي دار فيها حول الأرض خارج نطاقها لأول مرة في التاريخ ... فكان ردُّ أمريكا أن أرسلَت سفينة فضائية حملَت أولَ إنسان هبط فوق القمر ... ورفع العلَمَ الأمريكي هناك!

وبعد ذلك، أو قبلها بقليل كان هناك سباقٌ من نوع آخر قد بدأ، فأخذَت كلٌّ من الدولتَين العظميَين في إرسال عدد من الأقمار الصناعية لتدور حول الأرض على مدارات مختلفة ... وبدا كأن سباقًا محمومًا فيمن يُرسل أكبر الأقمار الصناعية لتدور حول الأرض، ثم ما لبثَت دولٌ أخرى أن لحقَت بتكنولوجيا الفضاء فأرسلَت أقمارًا صناعية هي الأخرى مثل إنجلترا وكندا وفرنسا واليابان والصين ... ولكن ظلَّ التفوق في هذا الأمر للقوتَين العظميَين ... أمريكا وروسيا ... فهما وحدهما لهما ما يزيد عن خمسة آلاف قمر صناعي تدور حول الأرض ... وأغلبُها لا يُعلن عن مهمته وإن كان يشترط على مَن أطلقه أن يُبلغَ الطرفَ الآخر بموعد إطلاق القمر ومساره حول الأرض ورقمه أيضًا ... فالأقمار الصناعية لها أرقامٌ كالسيارات وفي العادة لها سبعة أرقام تدل على نوع القمر وتاريخ إطلاقه، وغيرها من المعلومات التي تُوضح هويته.

وصمت رقم «صفر» لحظةً كانت كافيةً ليُراجع الشياطين معلوماتِهم في ذلك المجال؛ فقد كان ما ذكره رقم «صفر» لهم معروفًا تمامًا وليس فيه جديد ... وعاد رقم «صفر» يقول: وهناك — كما تعلمون — أقمارٌ صناعية أُطلقَت بغرض دراسة الطقس، أو للأغراض المساحية أو الكشف عن أعماق البحار أو لبثِّ الإرسال التليفزيوني واللاسلكي

والتي بفضلها تحوَّل العالم إلى قرية صغيرة، فما يحدث في أقصى شرق الأرض تبثُّه الأقمار الصناعية إلى أقصى غربها في نفس اللحظة ... وكان هذا أحدَ الإنجازات العظيمة للأقمار الصناعية ... ولكن هناك نوعٌ آخر من الأقمار الصناعية لا يُفصح عن مهمته، وهي في الغالب أقمار صناعية تُطلَق إلى الفضاء بغرض التجسس ... فأمريكا وروسيا بالذات لديهما عشرات بل ومئات الأقمار الصناعية التي تعمل في هذا المجال. وتمتاز أقمار التجسس الصناعية بقدرة تكنولوجية هائلة؛ فهي قادرة على تصوير أدق التفاصيل فوق الأرض، فهي لا تلتقط صور الدبابات والطائرات فقط، بل يمكنها تصوير مسدس صغير طولُه لا يتعدَّى عشرين سنتيمترًا من ارتفاع يصل إلى ألف كيلومتر ... وبهذا لا يمكن إخفاء تحرُّكات القوات والأسلحة عنها، وليس هذا فقط بل إن هذه الأقمار الصناعية مزودة بأجهزةِ كشفٍ تعمل بالأشعة تحت الحمراء، فيمكنها تصوير ما يبعد في باطن الأرض، فتستطيع هذه الأقمارُ الصناعية كشْفَ حظائر الطائرات مهما بولغ في إخفائها، وكشْفَ أماكن إخفاء القنابل والصواريخ النووية العابرة للقارات حتى لو أُخفيَت تحت سطح الأرض في مخابئ سرية على مسافة عشرات الأمتار في باطن الأرض ... لقد تحوَّلَت الأرض بفضل هذه الأقمار الصناعية إلى خريطة مكشوفة لا يمكن إخفاءُ أيِّ شيء عنها ... وما تحصل عليه هذه الأقمار الصناعية من معلومات يتم إرساله إلى الأرض بالبثِّ الإذاعي واللاسلكي أو بقَذْف كبسولة تحتوي على شرائط ووثائق المعلومات من القمر الصناعي إلى الأرض في مكان محدد يكون عادةً في قلب المحيط، وتنطلق طائرات وسفن أصحاب القمر الصناعي لالتقاط هذه الكبسولة بما تحويها من معلومات ثمينة ... أما مصير هذه الأقمار الصناعية فهو في الغالب التهشُّم والتحوُّل إلى ذرَّات في الفضاء بعد انقضاء مهمتها، أو إطلاقها إلى الفضاء البعيد لتسبحَ فيه إلى ما لا نهاية بعد أن تؤديَ مهمتها وتُصبح عديمةَ النفع ... وكما تعلمون فمن المحرم على الأقمار الصناعية حملُ أية أسلحة نووية، وإن كان بعضها يعمل بالطاقة النووية، ولعلكم تذكرون قصةَ القمر الصناعي الروسي الذي سقط فوق الأرض الكندية، وتعاونَت بلاد عديدة في التقاط بقاياه من فوق سفوح الجبال والأراضي الكندية، بسبب تلوُّث هذه البقايا بالأشعة النووية ...

وسكت رقم «صفر» لحظةً، ثم أضاف: لقد أُعلن عن إطلاق قمر صناعي عربي بغرضِ البثِّ الإذاعي والتليفزيوني ... ولكنَّ تطورًا حدث في الفترة الأخيرة جعلنا نُعيد النظر في مسألة عزوفنا عن الانضمام إلى نادي التجسس العالمي بالأقمار الصناعية.

تساءل «أحمد»: هل تقصد يا سيدي، أن هناك قمرًا أو أقمارًا صناعية أُطلقت إلى الفضاء بغرض التجسس على العالم العربي؟!

ردَّ رقم «صفر» في صوت عميق: هذا هو ما حدث تمامًا ... لقد تمَّ رصدُ قمرٍ صناعي أُطلق أخيرًا بدون الإعلان عنه أو عن هويته، واستطعنا بوسائلنا الخاصة أن نعرف أنه أُطلق بغرض محدد ... التجسُّس على الوطن العربي ... وعلى مقرِّ الشياطين بصفة خاصة!

تقابلَت نظراتُ الشياطين الأربعة في نظراتٍ يلمع فيها التحدي!

مهمة ... بين الأرض والقمر!

تكلَّمَت «إلهام» لأول مرة هاتفةً: ولكن يا سيدي ... هذا خطيرٌ جدًّا!

رقم «صفر»: بالضبط يا «إلهام» ... إنه شيء لا يمكن السكوتُ عليه أبدًا ... فبرغمِ كلِّ تحصينات الكهف السري للشياطين الـ «١٣» فإن مما لا شك فيه أن هذا القمر الصناعي ولنُطلِق عليه اسمَ «أكس تسعة» لديه من التكنولوجيا المتطورة ما يُمكنه كشف المقرِّ السري للشياطين واكتشاف كافة أسراره ... ومن أجل هذا كان استدعاؤكم ... إن إطلاق هذا القمر الصناعي بمثابةِ تحدٍّ للعالم العربي ... وللشياطين الـ «١٣» على وجه الخصوص ...

تساءل «عثمان»: ومَن هم الذين أطلقوا هذا القمر الصناعي؟

رقم «صفر»: إنها منظمةٌ إرهابية عالمية تضمُّ مجموعةً من العلماء من شتى الأجناس، وهذه المنظمة على استعداد لأن تبيع ما تحصل عليه من معلومات بواسطة قمرها الصناعي إلى مَن يشتريها ... ولا شك أن هناك أعداءً كثيرين لنا مستعدُّون لأن يدفعوا عشراتِ الملايين للحصول على هذه المعلومات الثمينة.

وقلب رقم «صفر» مجموعةً من الأوراق ثم قال: إن المعلوماتِ التي وصلَتنا تؤكِّد أن هذا القمر تكلَّف حوالي مائتي مليون دولار شاملةً نفقاتِ إطلاقه إلى الفضاء بواسطة صاروخٍ عابرٍ للقارات، وهذا القمر يبلغ طولُه ثلاثةَ أمتار وعرضُه مترين ونصفًا ووزنُه مائتَي كيلو جرام، وهو يدور في مدار بيضاوي حول الأرض، وأقربُ نقطة له نحوها تكون فوق مقرِّ الشياطين تمامًا ... وفي تلك الأثناء يكون القمر في أقرب نقطة إلى الأرض على مسافة ٢٥٠ كيلومترًا، أما أقصى نقطة له فتكون على مسافة ١١٠٠ كيلومتر ... وهو يدور حول الأرض مرة كلَّ ساعة ونصف ... أي أنه يمرُّ فوق كلِّ بقعة من عالمنا العربي ومقر الشياطين ست عشرة مرة كلَّ يوم ... وهو يحصل على وقوده وطاقته من الطاقة الشمسية التي يمتصُّها من سطحه المعرَّض للشمس ليمتصَّ أقصى قدرٍ منها.

أحمد: ومتى أُطلق هذا القمر الصناعي يا سيدي؟

رقم «صفر»: لقد أُطلق منذ ثلاثة أيام في سريَّة شديدة ... وهو يمارس عملَه منذ اللحظة الأولى لإطلاقه.

أحمد: إنه في العادة يُرسل المعلومات غير الهامة بالبثِّ اللاسلكي، أما المعلومات الهامة فسوف يُسقطها في نهاية الأسبوع في بقعة خاصة فوق المحيط الأطلنطي، وسوف يُبادر مَن أطلقه بالتقاط كبسولة المعلومات ... وأغلب الظن أنها تحوي أسرارًا هائلة عن مقر الشياطين.

صاح «عثمان» في انفعال: يجب منعُ وصول هذه الكبسولة إلى الأعداء وتدميرها.

بهدوء أجاب رقم «صفر»: سيُرسلون غيرَها وغيرَها ... وسندخل في صراعات لا تنتهي ... إن تدمير الكبسولة ليس هو الحلَّ الأمثل ...

أحمد: يجب تدمير القمر الصناعي نفسه، أليس كذلك؟

رقم «صفر»: بالضبط يا «أحمد» ... هذا ما توصَّلنا إليه ... إن هذا القمر الصناعي يجب أن يُمحَى من الوجود تمامًا ... وسيكون في هذا فائدة مزدوجة ... التخلُّص من القمر الصناعي وأيضًا تلقين هؤلاء الأعداء درسًا بأنَّ أيديَنا ستطولهم ... ولو كانوا في أجواء الفضاء ...

تساءل «رشيد» بقلق: ولكن كيف يا سيدي؟! إننا لا نملك سلاحًا نُوجِّهه إلى الفضاء لتدمير هذا القمر.

إلهام: من الممكن إطلاق صاروخ ليجتاز غلاف الأرض الجوي، ويفجِّر هذا القمر الصناعي؟

أجاب رقم «صفر»: هذا الاقتراح دار في حسباننا، ولكن مما يُضعفه أنه ربما كان القمر الصناعي «أكس» مزوَّدًا بأجهزة أو صواريخ قتالية فيتمكن من تدمير الصاروخ قبل الوصول إليه.

عثمان: يمكن إطلاق أشعة ليزرية قوية من الأرض لتفجر القمر الصناعي؟

رقم «صفر»: وحتى هذا غير ممكن؛ فالحصول على شعاع ليزري قوي يَصِل إلى هذه المسافة أمرٌ لم نَصِل إليه بعدُ.

تساءل «أحمد» بقلق: إذن ما الحل؟!

ردَّ رقم «صفر» بهدوئه المعهود: ستنطلقون أنتم إلى حيث القمر الصناعي وتقومون بنسفه في الفضاء.

تساءلَت «إلهام»: ولكن كيف يا سيدي؟!

رقم «صفر»: إن هناك مكوكًا فضائيًّا سيحملكم خارج الأرض ... ومنه ستنطلقون لأداء مهمتكم في الفضاء على مسافة مئات الكيلومترات من الأرض.

وتقابلَت نظراتُ الشياطين ... لقد كان رقم «صفر» يعني ما قاله تمامًا، بأن مهمَّتَهم القادمة ستكون في مكان ما ... بين الأرض والقمر!

وبدأ رقم «صفر» يشرح خطته، قائلًا: أنتم تعرفون أن هناك وسيلتَين لإطلاق الأقمار الصناعية إلى الفضاء الخارجي ... أولاها بواسطة الصواريخ الكبيرة العابرة للقارات، وثانيها بواسطة مكوك الفضاء؛ فعندما تمَّ اختراعُه كان الغرض منه هو حملَ موادَّ وأجهزةٍ كبيرةٍ لإطلاقها إلى الفضاء الخارجي والعودة إلى الأرض، ثم القيام برحلات أخرى متعددة تَصِل إلى مائة رحلة قبل أن يتمَّ تحويله ... بمعنى أن المكوك الفضائي أشبهُ بصاروخ عندما ينطلق إلى الفضاء ليخترق الغلاف الجوي ... وهو طائرة عادية عندما يعود إلى الأرض.

تساءل «أحمد» بدهشة: ولكن من أين سنحصل على مكوك فضائي يا سيدي؟!

رقم «صفر»: إنه موجود لدينا ... وجاهزٌ للعمل تمامًا بفضل مئات العقول الهندسية والإلكترونية العربية التي ساهمَت في إنجاز هذا المشروع في سرية تامة منذ سنوات بعيدة وظهر فوق الشاشة السينمائية المكوك الفضائي العربي، وكان أشبهَ بالمكوك الأمريكي، غير أنه كان أقلَّ طولًا وارتفاعًا وعرضًا.

وجاء صوت رقم «صفر» شارحًا: المكوك الأمريكي يصل طولُه ٣٧,٢٥ مترًا، وارتفاعُه ١٧,٢٥ مترًا، ووزنُه ٦٨ طنًّا بدون وقود ... وهو في حجم وزن الطائرة التجارية «سي ٩»، وهو يتكوَّن من عدة أجزاء كالمحركات الرئيسية والفرملة والرافعات في مؤخرته، ومجموعة الهبوط الأمامي في مقدمته، أما في الوسط فهو يحتوي على كُوَّة كبيرة تَصِل إلى نصف طول المكوك وهي بمثابة مخزن لحمل الأشياء المراد إيصالها إلى الفضاء ... وكما تعرفون فإن إطلاق المكوك يتم بواسطة صاروخَين للدعم مهمَّتُهما حملُ المكوك خارج نطاق الجاذبية الأرضية بما يحملان من وقود هائل، وكذلك هناك خزانٌ ضخم للوقود يلتصق بجسم المكوك وينفصل عنه بعد اختراق الغلاف الجوي ...

أما مكوكنا العربي فهو لا يختلف كثيرًا في نظام عمله وتكنولوجيته عن المكوك الأمريكي، غير أنه أقلُّ حجمًا؛ فطولُه يَصِل إلى خمسة وعشرين مترًا، وارتفاعُه ١٥ مترًا، ووزنُه لا يزيد عن أربعين طنًّا بلا وقود أو حمولة وذلك باختصار الفراغ الموجود في وسط

المكوك لحمل المعدات والأشياء إلى الفضاء. إن مكوكَنا أكثرُ قدرة على الحركة والمناورة في الفضاء ... ويحتاج إلى صواريخ إطلاق أقل قدرة من مثيله الأمريكي بسبب خفة وزنه بالمقارنة ...

وصمت رقم «صفر» لحظة، ثم أضاف: أما الإضافة الجوهرية للمكوك الفضائي العربي فهو قدراته القتالية؛ فهو مزوَّد بصواريخ وقنابل مدارية وألغام فضائية، بحيث يتحوَّل إلى طائرة صاروخية مقاتِلة في الفضاء إذا ما واجهَ عدوًّا ما ... إنه سلاحُنا الفضائي المستقبلي وهو سيدفع بنا للِّحاق بتكنولوجيا الفضاء التي تخلَّفنا عنها كثيرًا ... أما خطَّتُنا في نسْفِ «أكس٩» فلن تكون بإطلاق الصواريخ أو أشعة الليزر عليه، هذه كلُّها وسائلُ تم استبعادها؛ فنحن لا نريد الإعلان علانيةً بأننا أولُ مَن قام بنسْفِ ذلك القمر التجسُّسي؛ لأن لهذا العمل عواقبَ دولية وسيتَّهمنا البعضُ بالقرصنة الفضائية ... إن خطَّتَنا هي بثُّ لغمٍ فضائي محمَّل بالمتفجرات وهو على شكل نيزك صغير، هذا اللغم سيحمله المكوك العربي حيث تُطلقونه في الفضاء في مدار قريب من مدار القمر التجسسي «أكس٩». وسيبدأ اللغم الفضائي في مطاردة القمر التجسسي؛ حيث يقوم بالاصطدام به ونَسْفه، كأنه نيزكٌ عاديٌّ شاء سوءُ حظِّ «أكس٩» أن يصطدم به ... وسيكون هذا الاصطدام في توقيت ما بعد عودتكم بالمكوك العربي إلى الأرض ... وبهذا لن تتجه أصابعُ الاتهام إلينا ... وإن كان أعداؤنا لن يغفلوا الرسالة التي سنُوجِّهُها إليهم بمكوكنا العربي!

هتف «رشيد»: إنه إنجاز هائل ... سلاح رائع!

وتساءلَت «إلهام»: ولماذا لم يُعلَن عن وجود هذا المكوك من قبل؟

رقم «صفر»: لكلِّ شيء أوانُه يا «إلهام» ... وأظنُّ أن لحظة الإعلان عن مكوكنا قد حانَت، فما إن تنهون به مهمَّتَكم في الفضاء وتعودون به حتى يُصبحَ الإعلان عنه أمرًا لا مفرَّ منه؛ لأن أغلب دول العالم المتقدمة سوف تكون قد رصدَته ... فكما تعرفون فإن إطلاق مكوك فضائي بصواريخ عابرة للقارات أمرٌ لا يمكن إخفاؤه، لأن الحرارة الناتجة عن الانطلاق سوف تلتقطها الأقمار الصناعية لكل الدول الكبرى، ومن ثَم سيكتشف الجميعُ حقيقتَه، كذلك فإن المكوك عندما يخترق الغلاف الجوي الأرضي فسوف ترصده الرادارات والأقمار الصناعية للدول الكبرى وستُحدد مكان إطلاقه بالضبط ... هذه أمور لا تخفى عن العيون التجسُّسية للأقمار الصناعية العالمية.

تساءلَت «إلهام» بعينَين ضيقتَين: ولكن ... ألن تعترضَ إطلاقَ المكوك أيةُ قوةٍ عظمى عندما تظنُّه موجَّهًا ضدها فتحاول التصدِّي له مثلًا؟

ردَّ رقم «صفر»: ستكون محاولة غير مجدية؛ فمكوكُنا العربي يخترق الغلاف الجوي في زمن قياسي أقل من دقيقتين ... والزمن الواقع ما بين اكتشاف حقيقته ومحاولة التصدي له أو نَسْفه بواسطة السلاح الجوي، وحتى الصواريخ لأية قوة عظمى، هذا الوقت يستغرق ليس أقل من خمس دقائق، يكون خلالها مكوكُنا قد أخذ مكانَه في الفضاء، ولن يمكن لأية قوة أن تطولَه أبدًا في مداره، وحتى لو فكَّر أحدٌ في إطلاقِ مكوكٍ فضائي لاعتراضِه في الفضاء الخارجي، فهذا الأمر يستغرق أربعًا وعشرين ساعةً وهو الوقت اللازم لتجهيز المكوك الاعتراضي ... وقبل هذا الوقت سيكون مكوكُنا العربي قد أنجز مهمتَه وعاد إلى الأرض مثل أية طائرة عادية ... وستكون العودة مأمونةً تمامًا؛ لأنَّ أيَّ رادارٍ وقمرٍ صناعي لن يستطيعَ تفريقَه عن أية طائرة عادية، وستهبطون به في مكان سيحدِّد لكم بالصحراء الأفريقية الكبرى. إنها نفس نقطة إطلاق المكوك.

ابتسم «أحمد» قائلًا: يبدو أن المسألة أسهل مما تصوَّرنا ... إنَّ قدراتِ مكوكِنا العربي وتكنولوجيتَه المتطورة تجعل مهمتَنا في غاية اليسر ... إذ إنها تتعدَّى الانطلاق به إلى الفضاء ... وحتى قيادته ستتولَّاها عقولُه الإلكترونية ...

رقم «صفر»: ليس بالضبط يا «أحمد».

كان صوت رقم «صفر» يحمل لمسةَ توتُّرٍ انتقلَت إلى الشياطين الأربعة على الفور، وجاء صوتُه مكملًا: لقد كان مقررًا إنهاء التجارب على المكوك العربي خلال شهر وبعد ذلك يتم تجربتُه عمليًّا ... ولكن تطوُّر الظروف دفعنا إلى التعجيل بكل شيء ... ستكونون أنتم أولَ مَن يقوم باستخدامِ المكوك العربي وتجربتِه ... عمليًّا ... وأرجو ألَّا يكونَ علماؤنا قد نسوا أو أخطئوا في شيء ما؛ فإن أيَّ خطأ ولو بنسبة واحد على المليون معناه إما انفجار المكوك عند انطلاقه كما حدث للمكوك الأمريكي «تشالينجر» ... أو ضياعكم في الفضاء اللانهائي ... إننا لا يمكننا إلَّا أن ندعوَ الله بأن يكون كلُّ شيء على ما يرام ... وفَّقكم الله!

وسمعوا صوتَ خطوات رقم «صفر» وهي تبتعد ... وتلاقَت نظراتُ «أحمد» و«عثمان» و«رشيد» و«إلهام» في نظرة جامدة ... كان الأمر مخاطرةً هائلة ... ولكن أحدًا منهم لم تراودْه أيةُ رغبةٍ في التراجع أو ذرَّةٌ من الخوف ... ولو بنسبة واحد على المليون ...

معركة قبل المعركة!

انطلق الشياطين الأربعة نحو الطائرة المقاتلة الرابضة في ممرِّ الإقلاع داخل الكهف السري، وأخذ «أحمد» و«عثمان» مكانَيهما في مقعدَي القيادة، وانشغل «رشيد» و«إلهام» بمراجعةِ بعضِ المعلومات عن المكوك العربي والتي كانت مسجلةً داخل جهاز كمبيوتر كبير.

وانطلقَت طائرةُ الشياطين لتُغادرَ الكهف السري من فتحةٍ في نهايته، واندفعَت كالسهم تشقُّ الفضاء على ارتفاع منخفض متجهة نحو مكان القاعدة السرية الأرضية التي تحوي المكوك العربي، والمقامة في نقطة بالصحراء الأفريقية الواسعة.

وقبل أن تنقضيَ دقائقُ قليلة ضاقَت عينَا «أحمد» وهو ينظر إلى شاشة الرادار أمامه، وقال لـ «عثمان»: إن هناك أكثر من طائرة تَتْبعُنا.

وحدَّق «عثمان» في الرادار أمامه فشاهد ثلاث نقاط على شكل رءوس مثلث لثلاث طائرات كانت تبعد مسافةً عن طائرة الشياطين، وقال «عثمان»: لعلها طائرات مدنية.

أحمد: لا أظن ... إن خطوطَ الملاحة المدنية لا تمرُّ بهذا الاتجاه ... كما أن الطائرات المدنية لا تطير على هذا العلو المنخفض ... ولولا دقةُ رادار طائرتنا الفائقة ما أمكنه التقاطها، أظنُّ أن هذه الطائرات تُطاردنا ... وهي طائرات حربية مقاتِلة فيما أظن.

علَتْ ملامحُ الاندهاش وجهَ «عثمان»، وهتف: ماذا؟! ولكن لماذا تُطاردنا هذه الطائراتُ في خفية؟! ولماذا لم تَقُم بمهاجمتنا حتى الآن؟!

ابتسم «أحمد» قائلًا: الإجابة ليست صعبةً ... إنها تريد أن تعرف مكانَ هبوطنا ... وبعدها يمكنها مهاجمتُنا أو تدميرُنا.

اتسعَت عينَا «عثمان»، وهتف: أتعني أن قائدي هذه الطائرات الثلاثة لهم علاقة بمَن أطلق ذلك القمر التجسُّسي «أكس٩»؟!

أحمد: بالضبط ... ويبدو أنهم يشكُّون في خطوتنا القادمة ويريدون التأكد مما نفعله أو لعلهم التقطوا حديثًا أو رسالة ما من مقر الشياطين وعرَفوا بوجود المكوك العربي.

عثمان: ولكن هذا مستحيل تمامًا؛ فالكهف محصنٌ إلكترونيًّا وبه أجهزةُ تشويش عالية.

أحمد: لا تنسَ قمرَهم التجسُّسي ... لا بد أنه يملك تكنولوجيا متقدمة تستطيع اختراقَ دفاعاتِنا والتقاطَ ما يدور بداخل الكهف، وإن كنتُ أظنُّ أنهم لم يلتقطوا الكثير، وإلا ما كانوا بحاجة إلى مطاردتنا لمعرفة مكان قاعدة إطلاق المكوك ... إن لديهم شكوكًا وهم يريدون التأكد.

تساءل «عثمان» بقلق: وماذا سنفعل؟!

ابتسم «أحمد» وهو يردُّ: سوف نُزيل شكوكَهم ونُريحهم من التفكير تمامًا.

عثمان: كيف؟!

أحمد: الآن ستعرف إجابةَ السؤال.

واستدار بالطائرة منحرفًا في اتجاهٍ آخرَ بعيدٍ عن مكان القاعدة الأرضية، وأدرك «عثمان» ما يدور في ذهن «أحمد»، سوف يُضلِّلون الطائراتِ المطاردة الثلاث ...

وقال «أحمد» وهو يرتفع بالطائرة لأعلى: سنلعب معهم لعبةَ القط والفأر.

وراح يعلو بالطائرة ويعلو حتى صار فوق السحب القليلة، واختفَت الطائرات الثلاث من على شاشة الرادار دقائق ثم عادَت تظهر في المؤخرة وقد لحقَت بطائرة الشياطين عن بُعد ...

وأقبلَت «إلهام» متسائلة: ماذا يحدث يا «أحمد»؟! لماذا غيَّرَت الطائرةُ مسارَها وعلَت إلى هذا الارتفاع؟!

ابتسم «عثمان» كاشفًا عن أسنانه البيضاء وهو يقول: ثمة ثلاثة جرذان نودُّ أن نأخذَها إلى منزل القط.

وأشار إلى شاشة الرادار ففهمَت «إلهام» ما يقصده «عثمان» على الفور، وانحرف «أحمد» بالطائرة بزاوية حادة على شكل نصف دائرة، واختفَت الطائرات الثلاث لحظات قصيرة، ثم عادَت تظهر فوق شاشة الرادار مرةً أخرى بعد أن تتبَّعَت طائرة الشياطين.

مرة أخرى انحرفَت طائرة الشياطين إلى الجهة المضادة، وعادَت الطائرات الثلاث تَتْبعها في إصرار، وقال «أحمد» وقد اكتسى وجهُهُ ببريق النضال: يبدو أنهم مصرُّون على دخول عرين الأسد ... حسنًا إننا لن نُخيِّب أملَهم ... تشبَّثي بأيِّ شيء يا «إلهام» وأنت

يا «رشيد». واندفع بالطائرة بأقصى سرعة في دورة حادة، وأسرعَت «إلهام» و«رشيد» يتشبَّثان بأيِّ شيءٍ حولهما خشيةَ سقوطهما على الأرضية؛ فقد قام «أحمد» بحركة بهلوانية بارعة؛ فأخذ يدور بالطائرة حول نفسها كأنها ريشة تتقاذفها عاصفةٌ هوجاء، في نفس الوقت الذي كانت تندفع فيه للأمام بأقصى سرعتها.

وهتف «أحمد»: سوف نقدِّم لهم مفاجأةً لن ينسوها عندما يذهبون إلى الجحيم.

وفُوجئَت الطائرات الثلاث بطائرة الشياطين وهي في ذلك الوضع الغريب المترنِّح، وهي تكاد تصطدم بهم، وعلى الفور تفرَّقَت الطائرات الثلاث في اتجاهات مشتتة بعد أن أخذَتْهم المفاجأة، وعلى الفور اعتدل «أحمد» بطائرة الشياطين واندفع نحو أقرب الطائرات الهاربة وانقضَّ عليها مصوِّبًا صواريخَه وأطلق إحداها، وانطلق الصاروخ كالسهم نحو الطائرة، وفُوجئ قائد الطائرة بالهجوم المباغِت الذي لم يتوقَّعه، وحاول تفادي الصاروخ، ولكنَّ الوقت كان متأخرًا واصطدم الصاروخ بالطائرة، فدوَّى صوتُ انفجار رهيب وتناثرَت أجزاؤها في الفضاء وهوَت مشتعلة.

رفع «أحمد» يدَه بعلامة النصر، وقال: لقد الْتَهم القطُّ أحدَ الفئران الثلاثة ... بقيَ اثنان.

رشيد: وأظن أنهما سيتحولان إلى نمور شرسة حالًا ... إنهما طائرتان من طراز حديث جدًّا وصواريخها تُوجَّه بالعقول الإلكترونية وهي لا تترك فريستَها قبل أن تنسفَها.

وبالفعل فقد استدارَت الطائرتان الباقيتان بعد أن أدركتَا خدعةَ طائرة الشياطين ... وانقضتَا في وقت واحد من الأمام محاولتَين حصْرَ طائرة الشياطين فيما بينهما، وأطلقَت كلٌّ منها صاروخًا نحو طائرة الشياطين.

وعلى الفور خفض «أحمد» بدَّالَ السرعة إلى أقصى درجة، واندفعَت طائرةُ الشياطين ساقطةً لأسفل بسرعة جنونية هاربةً من الصاروخَين اللذَين اندفعَا خلفها في إصرار رهيب، وقبل أن تصطدم طائرةُ الشياطين بالأرض عدلَت من درجة سقوطها لترتفع مرة أخرى، وهو الأمر الذي لم يستطع الصاروخان القيامَ به برغم العقول الإلكترونية التي كانت تُوَجِّههما، فاصطدمَا بالأرض وانفجرَا بصوت رهيب.

وعادَت طائرةُ الشياطين ترتفع لأعلى، وقال «أحمد» باسمًا: حسنًا ... إن العقول الإلكترونية ليسَت مؤكدة النجاح دائمًا ... خاصة إذا واجهَت عقولًا شيطانية ... من طرازنا.

واندفع في جرأةٍ بالغة نحو الطائرتَين كأنه يُوشك أن ينقضَّ عليهما، وهتفَت «إلهام» متلهفةً: ماذا تفعل يا «أحمد»؟!

وتوقَّع «أحمد» ما فعله قائدَا الطائرتَين في نفس اللحظة؛ فقد أطلق كلٌّ منهما صاروخًا على طائرة الشياطين، وكانت الطائرات الثلاث قريبة من بعضها إلى درجة تُنذر بالخطر الشديد، واندفع «أحمد» بطائرته في أثر الطائرتَين المهاجمتَين والصاروخان خلفه، وفي اللحظة التي أوشك فيها على الاصطدام بإحدى الطائرتَين ارتفع فجأةً لأعلى، على حين اندفع الصاروخان المطاردان ليصطدمَا بالطائرة ويُفجِّراها.

أغمضَت «إلهام» عينَيها غيرَ مصدقة، وتمتم «عثمان» ذاهلًا: يا إلهي! لولا أنني شاهدتُ ما حدث لما صدَّقتُه أبدًا ... إن الأمر يبدو كما لو كان حربًا سينمائية من طراز حرب الكواكب!

قال «أحمد» ضاحكًا: لا تنسَ أن مهمَّتَنا القادمة مهمَّةٌ فضائية ... هذا من قبيل الفأل الحسن! وتلفَّتَ حوله متسائلًا: أين ذهبَت الطائرة الثالثة؟

ابتلع «عثمان» لعابَه، وهو يقول: أظن أنه آثرَ الفرار بحياته ... لو كنتُ مكانه لما تردَّدتُ لحظةً. وبالفعل اختفَت الطائرة الثالثة من فوق شاشة الرادار ولم يَعُد لها أيُّ أثر، وخفض «أحمد» من سرعته وقلَّل من ارتفاعه، وعاد يسلك الطريق الموصل إلى القاعدة الأرضية ... ولم يكن هناك أيُّ أثرٍ للطائرة الثالثة.

ولمع جهازُ الاستقبال في طائرة الشياطين، وأسرع «عثمان» يستقبل رسالةَ رقم «صفر»، وكانت تقول: معركةٌ رائعة! من المؤسف أنه لم يتمَّ تصويرُها وإلا كانت كليات الطيران في كلِّ أنحاء العالم درسَتها لطلبتِها باعتبارها نموذجًا للهجمات والمناورات المذهلة، خاصة وأن الطائرة الثالثة فرَّت باتجاه وسط أفريقيا بينما كان ينتظرها هناك صاروخٌ موجَّه سيتكفَّل بها قبل عبورها القارة.

أحمد: ولكن ... أظنُّ أن مهمَّتَنا قد انكشفَت بشكل ما.

رقم «صفر»: ربما ... ولكن هذا لن يُؤجِّل المهمة بأيِّ حال من الأحوال.

وصمتَ لحظةً قصيرة كأنه يتلقَّى رسالة ما، ثم قال: «لقد أُسقطَت الطائرة الثالثة ... النتيجة جيدة الآن ... فلتُكْملوا المهمة ... وفَّقكم الله!»

انتهَت الرسالة، وتبادل الشياطين نظرةً باسمة، لقد كانت معركةً صغيرة قصيرة، ولكنها فتحَت شهيَّتَهم إلى المعركة الكبرى والمهمة الصعبة ... كانت معركةً قبل المعركة الحقيقية.

ومن أسفل إلى الأمام بدَت القاعدة الأرضية لإطلاق المكوك الفضائي ... وفي قلبها كان المكوك العربي ينتظر في مكان ما.

لحظةُ الانطلاق!

بدأ العدُّ التنازلي أخيرًا ...

– مائة ... تسعة وتسعون ... ثمانية وتسعون ...

ومن الخارج كان كلُّ شيء هادئًا رائعًا لا يُوحي أن ثمة تغيُّرًا عالميًّا في موازين القوة سيحدث خلال دقائق قليلة.

... خمسة وستون ... أربعة وستون ... ثلاثة وستون ... اثنان وستون ...

كانت القاعدة الأرضية الواقعة في قلب الصحراء تبدو كما لو كانت مصنعًا لإنتاج الزجاج من خام السليكا من الرمال ... وكانت المباني البيضاء البسيطة لا تَشِي بما تَحْوِيه في الداخل من أحدث الأجهزة والعقول الإلكترونية ...

– واحد وأربعون ... أربعون ... تسعة وثلاثون ... ثمانية وثلاثون ...

وكانت الربوة العالية الواقعة على حدود المباني البيضاء هادئةً ساكنة، لا يعرف إلا قلةٌ تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة أن هذه الربوة بطنَت في قلبها برقائق من النحاس والفضة في طبقات عديدة متتالية حتى لا يمكنَ لأية أجهزة كشْف ما يحويه باطنُها ...

– ثمانية عشر ... سبعة عشر ... ستة عشر ...

بدأت فوهة الربوة تنتفخ قليلًا ... ببطءٍ وبلا أصواتٍ كاشفة عن المكوك الصغير المستقر في مكانه وعلى جانبَيه صاروخَا الدعم، ويلتصق به من الأمام خزان الوقود الضخم ...

– تسعة ... ثمانية ... سبعة ...

لم يكن هناك أيُّ شخص يقف بجواره حتى على بُعْد مسافة كيلومتر، خشيةً من الحرارة الشديدة التي ستنبعث عند انطلاق المكوك ... كان هناك عشرات العلماء العرب الجالسين أمام شاشاتهم وأجهزتهم وقد حبسوا أنفاسهم يراقبون الأجهزة وقلوبُهم تدقُّ بعنف.

– خمسة ... أربعة ... ثلاثة ...

سكن الشياطين الأربعة فوق مقاعدهم في جلسة أشبه بالرقاد حتى يتغلَّبوا على قوة انطلاق المكوك والتي تُعادل عشرةَ أمثال قوة الجاذبية الأرضية ... وتبادَلَ الشياطين الأربعة نظرةً أخيرة.

– اثنان ... واحد ... زيرو ... انطلق.

وهدرَت محركاتُ الصاروخَين الكبيرَين على جانبَي المكوك عندما اختلط الأكسجين السائل بالهيدروجين السائل داخلهما في غرفة الاشتعال فحدث انفجارٌ هائل واندفع الغاز والنار من مؤخرتها كالجحيم ...

وبدأ المكوك يرتفع ببطء في البداية كأنه ماردٌ عملاق مشتعل يخرج من بطن الربوة العالية وزاد الهدير، وما لبثَت سرعةُ المكوك أن زادَت أيضًا وانطلق كالسهم يشقُّ أجواءَ الفضاء كنسْرٍ جهنميٍّ.

وبعد أقل من دقيقتَين تحرَّر المكوك من صاروخَي الدعم على مسافة ستين كيلومترًا من الأرض، وبذلك انتهى الجزء الأول من مهمته بنجاح رائع، وما لَبِث أن تخلَّص من خزَّان الوقود الضخم وهو يخطو إلى قلب الفضاء الخارجي ...

وهلَّل العلماء العرب داخل مقرِّهم الأرضي في سعادة وأخذوا يتعانقون مباركين لبعضهم ذلك النجاح الرائع وقد بلَّلَت عيونَهم الدموعُ ...

وفي مكان ما داخل مقر الشياطين السري كان رقم «صفر» يمسح دمعةً كادَت تسقط من عينَيه ... كان نادرَ التأثر كأنَّ قلبَه قد تشكَّل من المعدن أو الحجارة، ولكنه في تلك اللحظة لم يستطع منْعَ نفسه من الانفعال، فقد كان بشرًا برغمِ كلِّ شيء.

وما لَبِث أن انتبهَ إلى أجهزة الاستقبال حولَه، والتي بدأَت تدقُّ لتُفصحَ له عن الاضطراب الرهيب الذي ساد أجهزةَ الرادار والاستكشافات العالمية، والتخبُّط الذي وقعَت فيه القوى العظمى، وكلٌّ منها تتَّهم الأخرى أنها أرسلَت مكوكًا فضائيًّا في مهمة سرية إلى الفضاء، بدون أن تبلغَها عنه حسبما تنصُّ اتفاقيَّتُهم.

وابتسم رقم «صفر» ابتسامةً عريضة ... ستكون مفاجأة، وأية مفاجأة للعالم كله عندما يكتشف الحقيقة ...

خطوة ... ولغم فضائي!

كان الانطلاق سهلًا للشياطين وهم جالسون في مقاعدهم الأربعة داخل المكوك، كانوا جالسين بطريقةٍ أقربَ إلى الاسترخاء وحتى يتغلَّبوا على قوة الاندفاع الشديد والجاذبية الأرضية ... وعندما وصلوا إلى المدار المحدَّد لهم بعد أن تخلَّصوا من صاروخَي الدفع وخزان الوقود توقَّفَت محركاتُ المكوك وقام بتعديل اتجاهه، ليسبحَ في الفضاء حول الكرة الأرضية في مدارٍ بيضاوي كأنه قمرٌ صناعيٌّ أو نيزك.

راقب الشياطين الأربعة سباحةَ المكوك في الفراغ، وكان يبدو مثل فراشة صغيرة جميلة تحملها الريح، وتطير بها دون أن تبذلَ مجهودًا ...

وجَّهَت «إلهام» رسالةً شفرية إلى القاعدة الأرضية تُبلغهم فيها بنجاحهم في الوصول إلى مدارهم المحدَّد من قبل.

ومن نافذةٍ أمامية في مقدمة المكوك، راقبَت «إلهام» الفضاءَ والفراغَ حولها، كان ثمة عددٌ من الأقمار الصناعية على مدارات مختلفة تدور حول الكرة الأرضية التي ظهرَت تحتهم، كأنها حجرٌ ضخم مستدير منقوش باللونَين الأخضر والأحمر، ومعلَّقة في الفضاء بلا رابطٍ لتدلَّ على قدرة الله سبحانه وتعالى ...

وهتفَت «إلهام» بانبهارٍ: منظرٌ رائع! ... لم أَكُن أظنُّ في عمري أنني سأشاهد منظرًا في مثل هذه الروعة!

وقال «أحمد»: معك حقٌّ ... إنه يجعل الإنسانَ يحسُّ بالضآلة ... ضآلتُه في هذا العالم والكون الفسيح ... ويجعله أقربَ ما يكون إلى الله!

وأقبل «عثمان» سابحًا في فراغ الحجرة، وكان يبدو مثلَ طفلٍ يتعلَّم السباحة في حوض حمام منزله، فكان يرتفع لأعلى ليصطدمَ بالسقف، ثم يجاهد محاوِلًا الهبوطَ ولْمَس

الأرضية، وعندما يندفع رغمًا عنه ليصطدمَ بأحدِ الأجهزة يمينًا أو يسارًا؛ ففي ذلك الفراغ تنعدم الجاذبية الأرضية، ويتحرك كلُّ شيء حركةً عشوائية بلا ضابط؛ ولذلك كانت تُصمم كافة الأجهزة والمقاعد وأماكن النوم داخل المكوك بحيث يتمُّ تثبيتُها حتى لا تنسابَ حرةً داخل الفراغ.

أمسك «أحمد» بـ «عثمان»، وساعدَه حتى يعتدلَ في وِقْفتِه، وقال ضاحكًا: هذا يرجع إلى نقص التدريب، إن رائد الفضاء الحقيقي يسبح في الفراغ كما تسبح السمكةُ في البحر ... قال «عثمان» محتجًّا: ومَن قال إنني رائدُ فضاء، إن مكاني المفضَّل فوق الأرض لا هنا ...

قالت «إلهام» ضاحكةً: حسنًا ... يمكنك أن تستقلَّ أول أوتوبيس للعودة إن كان المكان هنا لا يُعجبك!

ابتسم ثلاثتُهم، وراقبوا مجموعةً من الأقمار الصناعية على مسافات بعيدة وقد بدَت ثابتةً في الفضاء حولهم بسبب توافُقِ سرعةِ دورانهم معها.

وتساءل «عثمان»: تُرى أيهم هو القمر الصناعي «أكس٩» الذي تقصده؟

أجابه «أحمد»: هذا ما سوف تُجيب عليه أجهزتُنا.

واتجهوا ثلاثتهم إلى حجرة التحكم والاتصالات، وكان «رشيد» جالسًا أمام جهاز الاتصالات، وعندما شاهدهم التفتَ نحوهم قائلًا: هناك مَن يبثُّ رسائلَه إلينا متسائلًا عمَّن نكون.

تساءل «أحمد» باهتمام: وما هي جنسيةُ صاحب الرسالة؟

رشيد: إنها أكثر من رسالة ... العالمُ كلُّه فيما يبدو أصابَته الحيرة بسبب انطلاقنا.

إلهام: إن تعليماتِ رقم «صفر» تقضي بأن نتجاهلَ هذه الرسائل ... إن أمامنا ساعات قليلة نؤدِّي فيها مهمَّتَنا ثم نعود إلى الأرض.

وفجأةً اقتربَت مجموعةٌ من الأقمار الصناعية ... تحرَّكَت مقتربةً من المكوك السابح في الفراغ كأنها تودُّ استكشافَه، وانتشرَت على مسافات متباعدة حول المكوك، وكان منها ما هو على شكلٍ بيضاويٍّ ومنها ما هو كمثريٌّ أو أسطوانيُّ الشكل، كما كان بعضُها ذا أضلاع عريضة كأضلاع الطاحونة وأحاطَت كلُّها بالمكوك كأنها حشراتٌ صغيرة سابحة في الفضاء ...

تساءل «رشيد» بدهشة: ما الذي تفعله هذه الأقمار الصناعية؟ لماذا غيَّرَت اتجاهاتِها ومداراتِها واقتربَت منَّا؟

أشار «أحمد» لـ «رشيد» أن يصمتَ ولا ينطقَ، وبلغةِ الأصابع أجابه: يبدو أن هذه الأقمار الصناعية تجسُّسية، وتخصُّ القوى العظمى فوق الأرض، وعندما لم نُرسِل لهم ردًّا غيَّروا مساراتِ ومداراتِ أقمارهم الصناعية لتقتربَ منَّا وتكتشفَ حقيقتَنا، ومن المؤكد أنهم يرصدون كلَّ شاردة وواردة حولنا ويلتقطون كلَّ أحاديثنا.

قالت «إلهام» بنفس اللغة: معك حقٌّ يا «أحمد» ... من الأفضل عدم الحديث تمامًا ... لننطلق بعيدًا بسرعة أكبر حتى نؤديَ مهمتنا ...

أومأ «رشيد» برأسه بنعم ... وضغط على أزرار تشغيل محركات المكوك، وعلى الفور اندفع المكوك إلى الأمام في مداره البيضاوي بسرعة كبيرة ... ومن الخلف حاولَت الأقمار الصناعية ملاحقتَه ولكن سرعتها البطيئة نسبيًّا لم تُسعفها.

قال «أحمد»: أظن أنهم يستعدون فوق الأرض لإطلاق مكوك فضائي لاستكشاف الأمر ...

عثمان: هذا بديهي ... ومن المؤسف أننا لن نمكثَ لاستقباله في الغد!

إلهام: علينا البدء في مهمتنا على الفور.

وضغطَت فوق بضعة أزرار أسفل شاشة إلكترونية أمامها تسألها عن مكان القمر التجسُّسي «أكس٩» وعلى الفور انطبعَت الإجابة تحدِّد مكان القمر بالضبط.

وضغطَت «إلهام» مرة أخرى فوق الأزرار تطلب تعديلَ اتجاهِ المكوك حتى يقتربَ من القمر الصناعي في نفس مداره ...

واشتعلَت محركاتُ المكوك ودفعَته للحركة في مدار أقرب ... وزادَت سرعتَه بضعَ ثوانٍ ثم توقَّفَت المحركات، ومن خلال النافذة ظهر لأعينِ الشياطين في الأمام القمر التجسُّسي «أكس٩» يسبح أمامهم في الفراغ حول الأرض.

كان القمر الصناعي صغيرًا، له شكلٌ أسطواني ينحرف إلى الداخل في مقدمته، وقد انقسم هيكلُه الخارجي إلى آلاف وملايين القِطَع المعدنية الصغيرة من خام يقيه من الاحتراق بسبب دورانه السريع، ولامتصاص أشعة الشمس وحرارتها لتحويلها إلى طاقة لتشغيله. وكما كانت هناك زوائد مثل قرن الاستشعار انتشرَت في أماكن عديدة حول جسمه.

التقَت أعينُ الشياطين، ورفع «أحمد» أصبعَه ثم خفضها بطريقة مَن يقول: الآن.

وعلى الفور ضغطَت «إلهام» على زرٍّ أمامها، ومن وسطِ جسمِ المكوك انفتحَت طاقةٌ صغيرة وخرجَت منها كرةٌ معدنية قطرُها يَصِلُ إلى المتر، ذات حوافَّ متكسرة سوداء، واندفعَت الكرة اللغم في المدار البيضاوي خلف القمر الصناعي «أكس٩».

وراقب الشياطين اللغمَ الفضائي أمامهم، وصحَّحَت «إلهام» مسارَه بحيث يدور مع القمر «أكس٩» لمدة أربع وعشرين ساعة، وهو يقترب منه رويدًا رويدًا، ويزداد الاقترابُ كلما أكمل الاثنان دورةً واحدة حول الكرة الأرضية، وفي تمام الدورة السادسة عشرة وباكتمال الأربع والعشرين ساعة يصطدم اللغم بالقمر التجسُّسي لينسفَه ويُحيلَه إلى شظايا هائمة في الفضاء …

وأدار «أحمد» أجهزةَ ومحركات المكوك مبتعدًا عن مدار القمر التجسُّسي، وبلغة الشياطين قال: لا بد أن «أكس٩» رصدنَا وأرسل إلى الأرض بذلك … وربما يعدلون من مداره حول الأرض.

أجابه «عثمان»: لن يُفيدَهم هذا بشيء … فاللغم مصمَّمٌ بحيث يتبع القمر أينما غيَّر اتجاهه ليصطدم به في النهاية.

أحمد: هذا حسن … إنَّ مخترعَه لم يترك شيئًا للصدفة! والآن لنَقُم ببعض الأبحاث والتجارب التي طلبها منَّا علماءُ المركز الأرضي ومخترعو هذا المكوك … إنهم يريدون الاطمئنان على كلِّ جزء فيه عمليًّا.

قالت «إلهام» باسمةً: من المؤسف أن الشيء الوحيد الذي نستطيع تجربتَه عمليًّا بهذا المكوك هو أسلحته القتالية … وهو الشيء الذي نُجيده بكل أسف.

رشيد: مَن يدري … قد نصادف رُخًّا أو ديناصورًا طائرًا أتى من كوكب قريب وصوَّر له عقلُه أننا أعداء؟!

أحمد: من المؤسف أن شيئًا كهذا لا يحدث في الواقع … أنت تراه في أفلام الخيال العلمي فقط …

وسادَ جوٌّ من المرح بين الشياطين الأربعة بعد إحساسهم بنجاحهم في أداء ما هو مطلوب منهم، وشرعوا يقومون باختبار أجهزة المكوك وفحْصها، وهم يُبدون إعجابَهم بكفاءتها.

وبعد أقل من ساعتين أصاب «عثمان» الملل، فقال لبقية الشياطين: إنني أحسُّ بالضجر داخل هذا المكوك الضيق … أريد مكانًا فسيحًا لاستنشاق الهواء.

أحمد: سنجد مكانًا لا نهاية له في الخارج … ولكن من المؤسف أنك لن تجد هواءً لاستنشاقه!

ابتسم «عثمان» قائلًا: ولو … سأخرج للتريُّض قليلًا.

وارتدى ملابس رواد الفضاء، والتي تحمي أصحابها من فارق الضغط والحرارة، وحمل أنبوبة أكسجين فوق ظهره تكفيه لمدة ساعة وتأهَّب للخروج من المكوك من باب صغير في جانبه ...

قال «أحمد» محذِّرًا: لا تذهب بعيدًا يا «عثمان».

أجاب «عثمان»: إنني لن أضلَّ الطريق على أيِّ حال ... فالشوارع هنا ليست كثيرة.

إلهام: تأكَّد من متانة الحبل الذي يربطك إلى المكوك.

وكان هناك حبلٌ قويٌّ من ألياف البلاستيك القوية التي يستحيل قطْعُها بأية آلة حادة، وكانت تربط «عثمان» بقلب المكوك، ولكنها تسمح له بالسباحة في الفراغ لمسافة تصل إلى مائة متر. وراقب «أحمد» و«إلهام» و«رشيد» الشيطان الأسمر وهو يخرج من المكوك، ويسبح في الفراغ. وما لبث أن انقلب على وجهه في الفراغ، وعندما حاول أن يعتدلَ انقلب على جنبه والتفَّ الخيطُ حوله ... وقهقه الشياطين من المشهد الكوميدي الذي كان يدور في الخارج.

ومرَّ بعضُ الوقت وانشغل الشياطين الثلاثة بأعمالهم واختباراتهم داخل المكوك، على حين كان «عثمان» لا يزال يمارس لهْوَه في الخارج ويقوم بحركات كوميدية ناتجة من عدم وجود جاذبية، وبعد أن مرَّت نصفُ ساعة أحسَّ «عثمان» بشيء من الضجر والملل وتهيَّأ للعودة، ولكن ... وقبل أن يتحرك شاهدَ شيئًا على البُعد يقترب نحوه.

وحملق «عثمان» بعينَيه ذاهلًا من داخل خوذته الفضائية وقد أصابه خوفٌ حقيقي ... فقد كان موقفًا لم يُجابهْه في حياته من قبلُ أبدًا ... وتساءَل ذاهلًا عن كُنْهِ ذلك الشيء البعيد، وأخذ ذلك الشيء يقترب شيئًا فشيئًا وجسمُه يكبر، وتعرَّف «عثمان» على كُنْهِ ذلك الشيء ففغر فمَه ذاهلًا غيرَ مصدِّق!

كان مكوكًا فضائيًّا كبيرًا لا يحمل أية هوية ... ومن طريقةِ اقترابِه أدرك «عثمان» أنه يوشك على الهجوم والانقضاض على مكوكهم ... وعلى الفور اندفع «عثمان» بحركات متعثرة نحو باب المكوك يبغي دخولَه، وقد أدرك أن انشغالَ الشياطين بالداخل حال دون تنبُّههم لاقتراب المكوك المعادي فأسرع لتنبيههم ...

اندفع «عثمان» نحو باب المكوك الذي خرج منه، ولكن الباب كان مغلقًا ... وحاول «عثمان» فتْحَه، بلا فائدة؛ فقد كان من الواضح أن عطبًا ما قد أصابه وأنه لن يُفتَح إلا من الداخل، وجنَّ جنون «عثمان» وأخذ يدقُّ على باب المكوك بلا فائدة ... والمكوك المعادي يقترب ويقترب، ولم يكن أمام «عثمان» سوى تصرُّفٍ وحيد لتحذير زملائه، خاصة وقد نسيَ حمْلَ جهازِ اللاسلكي للاتصال بهم.

وأسرع «عثمان» يسبح في الفراغ بكلِّ قوتِه صاعدًا لأعلى، ولمس جناحَي المكوك وصَعِد فوقه وبخطواتٍ متعثرة سار فوق مقدمته ثم نحو نافذته الزجاجية الأمامية، وأطل من خلف الزجاج فشاهد «أحمد» و«رشيد» و«إلهام» مشغولين أمام الأجهزة الإلكترونية ... وأخذ «عثمان» يدقُّ فوق النوافذ بكل قوته، ولكن ... لم تكن هناك أية فائدة من ذلك؛ فقد كانت طرقاتُه ضعيفة فوق الزجاج القوي الصلب.

وأخيرًا انتبهَت «إلهام» إلى «عثمان» وحملقَت فيه مندهشة، وحاول «عثمان» أن يشرح بيدَيه في حركات متسرعة ما يدور بالخارج، ولم تفهم «إلهام» شيئًا فهتفَت في «أحمد»: انظر يا «أحمد» ... إن «عثمان» يبدو عليه الاضطراب ويريد أن يقول شيئًا.

انتبه «أحمد» وحملق في «عثمان» مندهشًا، وفَهِم أخيرًا ما يقوله «عثمان» بإشاراته، فهتف غير مصدق: إنه يقول إن هناك أعداء ... وأن باب المكوك مغلق.

والتفت «أحمد» إلى الجانب الآخر فشاهد المكوك المعادي وقد صار على مسافة قريبة جدًّا، فغمغم ذاهلًا: يا إلهي ... هذا آخر شيء كنت أتوقعه!

وصاح في «رشيد» افتح الباب لـ «عثمان» بسرعة يا «رشيد»؛ إن هجومًا وشيكًا سيحدث.

اندفع «رشيد» نحو باب المكوك وفتحَه، ومن الخارج تحرَّك «عثمان» نحو باب المكوك، ولكنَّ شعاعًا من الليزر انطلق من المكوك المعادي نحوه، وألقى «عثمان» بنفسه فوق المكوك فأصاب الليزر جناح المكوك وحطَّم جزءًا منه، ونهض «عثمان» متعثرًا ... لم يَعُد يفصله عن الباب المفتوح غير أمتار قليلة، ولكنَّ شعاعًا آخر انطلق من المكوك المعادي نحوه، ورفع «عثمان» جسمه لأعلى بسرعة متفاديًا شعاعَ الليزر الذي أصاب الحبلَ البلاستيكيَّ القويَّ فقطعه ...

وحملق «عثمان» في الحبل المقطوع بعينَين ذاهلتَين وأدرك أن الطلقة التالية من المكوك المعادي سوف تُصيبه وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه ... وقبل أن يستطيع عمل شيء اشتعلت محركات مكوك الشياطين وانطلق مبتعدًا، وعلى الفور اندفع المكوك المعادي خلفه بسرعة كبيرة.

ووجد «عثمان» نفسه يتقلَّب في الفراغ كأنه نقطة ماء في محيط لا قرار له ... ولأول مرة في حياته يشعر بمعنى الضياع الحقيقي ... في ذلك التيه اللامتناهي من الفراغ وأنبوبة الأكسجين فوق ظهره لن تكفيَه أكثرَ من عشر دقائق فقط!

ديناصور الفضاء!

اندفع «أحمد» بالمكوك بأقصى سرعته، وهتفَت «إلهام» ذاهلةً: «أحمد» هل سنترك «عثمان»؟!

أجابها «أحمد»، وقد احمرَّت عيناه حتى صارتَا بلون الدم: ليس أمامنا غير ذلك ... لقد كنَّا في وضعٍ يسهل على المكوك المعادي اقتناصنا ... علينا أن نُناورَه ونُواجهَه ... أما «عثمان» ونظر إلى «رشيد» و«إلهام»، وبحزنٍ أكمل: فأرجو أن يتسع لنا الوقت لإنقاذه.

وصاح «رشيد» ذاهلًا: ولكن من أين أتَى هذا المكوك المعادي ... لم يكن هناك وقتٌ لإرساله خلفنا؟!

قالت «إلهام» بغضب: لا بد أنه كان يستعد للقيام برحلة سرية ... تجسُّس مثلًا؛ ولذلك لم يُعلن عن رحلته، وكان جاهزًا للانطلاق عند إطلاق مكوكنا؛ ولذلك أرسلوه خلفنا ليُطاردَنا وربما ليمنعنا من تفجير القمر «أكس٩»، فربما انكشفَت أسرارُ مهمتنا بطريقة ما.

وألقَت «إلهام» نظرةً إلى شاشة الرادار أمامها، وقالَت مندهشة: ولكن أين ذهب هذا المكوك؟! لقد اختفى من على شاشة الرادار.

تألَّقَت عينَا «أحمد»، وهتف: لا بد أنه ذهب لتفجير اللغم الفضائي حتى لا ينسفَ القمر التجسُّسي، علينا أن نمنعَه من ذلك.

وقبل أن يتحرك المكوك مغيِّرًا اتجاهَه لمَعت أضواءُ انفجارٍ بعيدة ... ولم يسمع الشياطين أيَّ صوت ... فالأصوات لا تسري في الفراغ والفضاء لعدمِ وجودِ هواء يحمل ذبذباتِها.

التفتَت «إلهام» بغضب جامح، وهي تقول: لقد نسفوا اللغم!

وأكمل «رشيد»: وأعتقد أنهم سيتفرغون لنا الآن.

أحمد: حسنًا ... لقد كنَّا نبحث عمَّن نُجرِّب معه أسلحة المكوك ... وها هي قد جاءت الفرصة. وأدار محركات المكوك بأقصى سرعتها وانطلق تجاه مكان اللغم، وبرز أمامهم المكوك المعادي يتأهَّب لقتالهم.

وألقى «أحمد» نظرةً إلى ساعة يده ... تبقَّت سبعُ دقائق فقط وينتهي الأكسجين في أنبوبة «عثمان»، وخلال هذه الدقائق السبع كان عليهم الدخول في معركة مع المكوك والانتصار عليه، ثم البحث عن «عثمان» والتقاطه ...

كانت مهمةً أشبه بالمستحيل، بل لعلها المستحيل نفسه، ولكن هل أوقف المستحيل الشياطين من قبل؟!

وغمغم «أحمد» وهو يجزُّ على أسنانه قائلًا: لسوف أُريهم جزاءَ عملهم الرديء هذا.

وعلى الفور انقضَّ على المكوك المعادي وأطلق صاروخًا نحوه، ولكن شعاعًا من الليزر انطلق من المكوك المعادي وأصاب الصاروخ في منتصف الطريق فشقَّه على الفور.

ارتفع «أحمد» بالمكوك عاليًا بأقصى سرعته، وأطلق صاروخًا ثانيًا من الخلف، ولكن شعاعًا جديدًا من الليزر انطلق نحوه وفجَّره في منتصف المسافة.

هتفت «إلهام» قلقةً: يبدو أنهم يملكون أجهزةً متطورة جدًّا ... إن ما أراه أمامي يذكِّرني ببرنامج حرب الكواكب التي تزمع بعضُ القوى العظمى بصُنْعه للسيطرةِ على الفضاء وشنِّ الحرب منه على أعدائها.

رشيد: ولكن هذا البرنامج أعلن عن إلغائه.

أحمد: من الواضح أن هذا الإعلان كان كاذبًا ... لقد تمَّ البرنامج ... وهم يريدون تجربتَه علينا فيما يبدو ... إن لديهم تكنولوجيا وأسلحة هائلة وعلينا مواجهتها بأسلحتنا البسيطة داخل مكوكنا.

وانطلق من المكوك المعادي شعاعُ ليزر قاتل نحو جسم مكوك الشياطين، ولكن «أحمد» قاد المكوك بسرعة ومهارة ليتفادى الشعاع، والذي أصاب قمرًا صناعيًّا على البعد فنثرَه إلى حطام ... وانطلق شعاعٌ جديد، وجاهد حتى يتفاداه، ومسَّ الشعاعُ طرفَ جناح المكوك فحطَّمه، وصوَّب «أحمد» شعاع الليزر تجاه المكوك المعادي الذي لم يحاول تفاديه، وأصاب الشعاعُ جسمَ المكوك، ثم انحرف إلى زاوية بعيدة في الفضاء ...

وتبادل الشياطين الثلاثة النظرات في ذهول ... كان من الواضح أن ذلك المكوك مصنوعٌ من موادَّ لا يخرقها الليزر، كان بمثابة «ديناصور» فضائي حقيقي يستحيل القضاء عليه ... واهتزَّ مكوك الشياطين قليلًا ثم عاود اعتداله.

قالت «إلهام» بقلق: أعتقد أن المعركة لا تسير في صالحنا يا «أحمد»!

تألَّقَت عينَا «أحمد»، فقال: لم تكن الأسلحة المتطورة في أيِّ حرب هي السبب الوحيد للانتصار.

إلهام: ماذا تقصد؟

أحمد: سترَين حالًا.

وضغط «أحمد» فوق زرٍّ أمامه، وعلى الفور انفتحَت طاقةٌ صغيرة في منتصف المكوك وسقطت منه عشرة ألغام فضائية واستقرَّت في مدارات متقاربة على مسافة أمتار قليلة من بعضها.

وقال «أحمد» بغموض: الآن ... لنجرَّ الفأرَ إلى مصيدته الفضائية.

واندفع بأقصى سرعته ليدور بالمكوك دورة واسعة، وتَبِعه المكوك المعادي على الفور وهو يُطلق الليزر عليهم، ولكن «أحمد» نجح في المناورة وتحاشَى الشعاع القاتل، واندفع «أحمد» ليأخذ مدارَه الأصلي مرة أخرى بعد أن أكمل دورةً واسعة، ثم اندفع للأمام يشقُّ الفضاء نحو الألغام العشرة المتقاربة كأنه يبغي الانتحار. وصرخَت «إلهام» في رعب هائل: «أحمد» ... ماذا تفعل؟! ... سوف تنفجر هذه الألغام عند اصطدامها بنا ...!

ولكن «أحمد» بدَا كتمثال من الحجر لا حياةَ فيه، ومن الخلف اندفع المكوك المعادي وراء مكوك الشياطين الذي حجب وجود الألغام أمامه.

واقتربت الألغام بسرعة رهيبة من مكوك الشياطين وهو يندفع نحوها بسرعة خارقة، وأغمضت «إلهام» عينَيها ذُعْرًا من الانفجار المتوقع، أما «رشيد» فأدرك ما يقصده «أحمد» ... وبحركةٍ بارعة مال «أحمد» بمكوك الشياطين ليخترق الألغام العشرة من منتصفها وهو يكاد يمسُّها، ولكن براعته وصِغَر حجم المكوك مكَّناه من أن يخترقَ قلبَها بدون أن يصطدم بها، ومن الخلف اندفع المكوك المعادي بنفس السرعة ليفاجأ بالألغام الفضائية العشرة أمامه، وفوجئ قائد المكوك بها، ولم يكن هناك أيُّ وقت لتفاديَها أو تغيير المسار واضطرَّ قائد المكوك لاختراقها كما فعل «أحمد»، وكان الشيطان الماكر يعرف النتيجة مقدمًا.

فما كاد المكوك المعادي ينجح في تفادي أول لغم حتى اصطدم الثاني بجناحه، وترنَّح المكوك قليلًا ليصطدم الثالث والرابع بمقدمته، واندفعَت بقيةُ الألغام لتصطدم بالمكوك وتنسفه، وتُحيله إلى شظايا في الفضاء.

وابتسم «أحمد» وهو يشاهد انفجارَ المكوك خلفه، وقال: لقد حاولوا أن يقلدوني، ولكنهم نسوا أن مكوكَهم أكبرُ حجمًا من مكوكنا.

وابتسم «رشيد» في سعادة، وهو يقول: ونسوا أيضًا أنهم ليسوا شياطين.

ودمعَت عينَا «إلهام» وهي تقول بفرحة: إن نجاتَنا أشبهُ بالمعجزة ... لم أكن أتخيَّل ولو بنسبة واحد إلى المليون أننا سننجو من هذا المكوك الرهيب الذي لا يؤثر فيه شيء!

ونظرَت إلى «أحمد» بإعجاب شديد، وقالت: إنني معك أحسُّ باطمئنان شديد! حتى إنني قد أفكر في النوم ونحن على وشك الدخول في حرب مع جيشٍ مُعادٍ ...!

وصرخت فجأةً متذكرة: «عثمان»!

وعلى الفور أدار «أحمد» محركاتِ المكوك الفضائي، واندفع نحو النقطة التي تركوا «عثمان» فيها وشقَّ المكوك طريقَه بأقصى سرعة ... ونظر «أحمد» في ساعته ... لم يكن هناك غيرُ ثوانٍ قليلة وينتهي الأكسجين لدى «عثمان» ... وكان البحث عنه في ذلك التيه الفضائي أمرًا يستغرق أعوامًا!

حيلة القمر «أكس٩»!

صاحَت «إلهام» بفرح جنوني: ها هو «عثمان»!

وأشارَت إلى نقطة تسبح في الفراغ بلا أدنى مقاومة، وكان هو «عثمان» ببدلته الفضائية، وكان العثور عليه بمثل تلك السرعة معجزةً أخرى ...

خفَّف «أحمد» من سرعة المكوك وأوقفه تمامًا حتى صار موازيًا لـ «عثمان» الذي لم يلتفت إليهم. لقد كانت ذراعاه وساقاه مسترخيةً ورأسُه قد مال على صدره بلا حَراك ...

وصاح «أحمد» في «رشيد»: ألقِ الشبكة المعدنية يا «رشيد».

وضغط «رشيد» فوق ذرٍّ أمامه، فاندفعَت من مؤخرة المكوك شبكةٌ كبيرة من أسلاك معدنية أحاطَت بـ «عثمان»، وجذب «أحمد» يدًا ميكانيكية صغيرة أمامه فعادَت الشبكة بحمولتها إلى داخل المكوك.

واندفع الشياطين الثلاثة نحو «عثمان»، الذي كان راقدًا فوق الأرضية بلا حَراك، وأسرع «أحمد» ينتزع خوذة «عثمان»، وأمسك بمعصمه ثم صرخ: إنه لا يزال حيًّا وإن كان نبضُه ضعيفًا جدًّا ... وانتزع أنبوبة أكسجين ومدَّ كمامتها نحو فم «عثمان»، على حين راح «رشيد» يقوم بتدليك قلب «عثمان» والضغط فوق رئتَيه لتنشيطهما.

وراقبَت «إلهام» الشيطان الأسمر بعينَين حمراوين داميتَين وهي تكاد تنفجر في البكاء ولا تصدق أن «عثمان» يمكن أن يموت بتلك الصورة!

وعندما لم يُظهر «عثمان» أيةَ استجابة للمحاولة المبذولة لإنقاذه انفجرَت «إلهام» باكيةً بشدة وغطَّت وجهَها بيدَيها.

وصاح «أحمد»: إنه يتنفَّس ... لقد بدأ يتنفس!

وحملقَت «إلهام» في «عثمان» ذاهلةً من بين دموعها ... كان صدرُ الشيطان الأسمر يرتفع وينخفض في بطء، ومع ضغط أصابع «أحمد» و«رشيد» فوق صدره بدأ يستعيد

وَعْيَه وتنفُّسَه الطبيعي، وفتح «عثمان» عينَيه ونظر نحو الشياطين بوجهٍ شاحب وهو لا يصدِّق بنجاته ...

قالت «إلهام» من وسط دموعها: حمدًا لله ... لقد أنقذناه!

قال «عثمان» بوهنٍ: لقد فقدتُ الأمل في عودتكم وإنقاذكم لي ... ظننتُ أنني سأسبح في الفراغ والفضاء إلى ما لا نهاية بعد وفاتي، وأنهم ربما يظنونني فوق الأرض قمرًا صناعيًّا شاردًا.

ضحك الشياطين، واستعاد «عثمان» قوتَه ونشاطه، وقصَّ عليه «أحمد» و«إلهام» و«رشيد» المعركةَ التي دارَت مع المكوك المعادي وكيف نجح «أحمد» في خداعه بمهارته وسرعة بداهته ...

وقال «رشيد»: سأُرسل رسالةً شفرية إلى رقم «صفر» لإخباره بما حدث.

وأسرع إلى جهاز الاتصال ... وجاء الرد يقول: «انسفوا القمر الصناعي «أكس٩»، وعودوا على الفور.»

تبادل الشياطين النظراتِ، وأدار «أحمد» محركَ المكوك وانطلق في أثر القمر التجسسي بعد أن حدَّد مكانه بالعقول الإلكترونية ... ولكن لم يكن هناك أيُّ أثر له ...

قال بدهشة: أين ذهب هذا القمر؟ من المفروض أن يكون في هذا المكان حسبما أشارَت العقول الإلكترونية.

إلهام: ربما تكون العقول قد أخطأت.

هزَّ «أحمد» رأسَه نافيًا، وقال: لا أظن ... كان علينا أن نتوقَّع اختفاءَه من مداره على أيِّ حال.

نظر بقيةُ الشياطين نحوه بدهشة بدون أن يفهموا ما قاله، وشرح «أحمد» ما يقصده قائلًا: لا بد أن أعداءَنا عرفوا بما ننويه بقمرهم الصناعي، ومن أجل هذا أرسلوا مكوكهم لقتالنا ... وعندما نسفناه لم يكن أمامهم غيرُ إعطاء الأوامر لقمرهم الصناعي بتغيير مداره حتى لا نعثرَ عليه وننسفه ... إنه هنا في مكان ما من هذا الفضاء الشاسع ينتظر عودتَنا إلى الأرض ليعود إلى مداره من جديد ...

تساءل «عثمان» في قلق: وكيف سنعثر عليه؟!

أحمد: سنحاول كشفَ مداره الجديد بالرادار.

وأسرعوا إلى الرادار، ولكن لم يكن هناك أيُّ أثرٍ له فوق شاشته ... كان هناك العديد من الأقمار الصناعية ... ولكن أحدًا منها لم يكن هو القمر المطلوب بشكله المميز.

تساءل «رشيد» بقلق: ما العمل الآن؟!

وأكملَت «إلهام»: إن وقودنا من الأكسجين والطعام لن يكفيَنا لوقت طويل ... هذا أمر لم نضعه في حسباننا.

أحمد: لا يمكن أن تفشل مهمتُنا في نهايتها بمثل هذه الصورة بعد أن تكبَّدَنا كلَّ هذه المشاق ... سوف نعثر على هذا القمر اللعين مهما حدث ... إنه لن يذهب بعيدًا على أيِّ حال.

وأدار «أحمد» محركاتِ المكوك وانطلق به في مدار أعلى ... وتضاءلَت وصغرَت تحتهم كلُّ الأقمار، ولكن لم يكن هناك أيُّ قمر صناعي بشكل أسطواني بمقدمة منبعجة من الأمام.

وراقب «عثمان» عدادَ الوقود بقلق، وقال: لم يتبقَّ من الوقود الكثير، فليس لدينا ما يكفينا للعودة إلى الأرض إلا لوقت قليل.

وساد الوجومُ الشياطينَ الأربعة، وقالت «إلهام» بغضب: أين يمكن أن يذهب هذا القمر الملعون ... لقد فتشنا في كلِّ المدارات بلا فائدة ... إنه لن ينطلق إلى القمر أو المريخ ليختفيَ هناك فهو لا يملك من المحركات والوقود ما تُعطيه القدرة على ذلك.

هتف «أحمد» بعينَين برَّاقتَين: لقد وجدتُها ... كيف غاب عني ذلك؟!

نظر الشياطين إلى «أحمد» بدهشة، وقال «أحمد»: إن القمر لم يغيِّر مداره ... إنه لا يزال في نفس المدار، ولم يذهب هنا أو هناك.

اعترض «عثمان»: ولكن كيف؟! لقد فتشنا عنه هناك ولم نجده.

أحمد: لقد كان أمامنا ولم نرَه لسبب بسيط، وهو أننا كنَّا نبحث عن قمر ذي شكل أسطواني بمقدمة منبعجة للأمام ... وليس من الصعب أن تتحول المقدمة المنبعجة إلى الشكل الأسطواني أو الدائري بفضل الأوامر الصادرة إليه من الأرض؛ وبذلك يتغير شكلُ القمر الصناعي، ويظل يدور أمام أعيننا بدون أن ننتبهَ إلى أنه طريدُنا.

هتفَت «إلهام» مندهشة: يا لَه من قمر خبيث!

قال «رشيد» مصححًا: بل يا لَهم من قوم خبثاء هؤلاء الذين صنعوه، إنهم أيضًا لم يتركوا شيئًا للصدفة!

عثمان: علينا أن نعثر عليه فورًا ... بالكاد وقودنا يكفينا للهبوط إلى الأرض.

اندفع «أحمد» بالمكوك إلى مدار القمر التجسسي ... وانطبعَت فوق شاشة الرادار أمامهم كلُّ الأقمار الصناعية التي تدور في نفس المدار. وكانت كلها ذات أشكال متباينة

ضخمة عدا أحدها كان شبيهًا بالقمر المختفي؛ فقد كان أسطوانيَّ الشكل بلا مقدمة منبعجة على الإطلاق …

وأشارت «إلهام» نحوه قائلة: ها هو.

وقبل أن تُكملَ عبارتها انطلق شعاعٌ من الليزر من مقدمة الصاروخ نحو القمر الصناعي وأصابه في منتصفه فانفجر في التوِّ، وتناثر إلى شظايا في الفضاء.

أحمد: هذا حسن!

ورفع أصابعَه بعلامة النصر إلى بقية زملائه، ووجهُه يتألق ببريق الانتصار، ولكن «إلهام» سألَته في توتر وقلق: «أحمد» … أظن أننا سنُصادف طائراتٍ معاديةً عند دخولنا إلى الغلاف الجوي للأرض؟

رمقها «أحمد» بعينَين ضيقتَين وسرَت إليه عدوى القلق، تُرى كيف سيواجهون أية طائرات معادية وهم بلا وقود إلا ما يكفي لهبوطهم؟

كان سؤالًا ستجيب عليه الثواني القليلة التالية!

المعركة الأخيرة!

اندفع المكوك يشقُّ الغلاف الجوي الأرضي بصوتٍ حادٍّ ناتج عن اختراقه للهواء، وواصلَ المكوك اندفاعَه لأسفل مخترقًا طبقاتٍ متتالية من السحاب قبل أن يعتدل «أحمد» به ويُوجِّهه باتجاه الصحراء الكبرى ... حيث يهبط في ممرٍّ عريض بالقرب من مكان انطلاقه السابق ...

كان القلق يشمل الشياطين الأربعة والمكوك ينطلق بهم بأقصى سرعة وعيونهم تُتابع شاشة الرادار ... كانت هناك مسافة لا تقلُّ عن ألفَي كيلومتر أمامهم ... وخزان الوقود يتناقص بسرعة. ولو سارَت الأمور بهدوء لاستطاعوا الهبوطَ بالكاد مع آخر نقطة وقود بالمكوك ...

وصرخَت «إلهام»: احترس يا «أحمد»!

ومن الأمام اندفعَت ستُّ طائرات — بلا هوية تُحدِّد بلدَها — نحو المكوك محاوِلةً اعتراضَه، وأدار «أحمد» مقود المكوك ليهبط به بسرعة متجنبًا الطائرات الست ... لم يكن يرغب في الدخول في معركة غير مضمونة النتائج واهتزَّ المكوك بشدة للحركة العنيفة التي قام بها «أحمد»، ونظر «أحمد» إلى الأجهزة أمامه، وقال بقلق: إن هناك عطبًا بأحد أجنحة المكوك وهو يسبب اهتزازه ...

هتف «رشيد» بسخط: لم يكن ينقصنا غير هذا!

ومن الخلف اندفعَت الطائرات الست المهاجمة مرة أخرى وراء المكوك، وانطلق من هذه الطائرات ستة صواريخ موجَّهة نحو المكوك ...

وضغط «أحمد» فوق أجهزة التشويش بالمكوك ولكن الصواريخ ظلَّت على اندفاعها خلف المكوك ... وجمدت أصابع «أحمد» والتفت ذاهلًا إلى «عثمان» قائلًا: لقد تعطَّلَت أجهزة التشويش فيما يبدو ... سوف تصطدم بنا هذه الصواريخ حتمًا ...

وانحرف جهة اليمين بأقصى سرعة في محاولة يائسة لتضليل الصواريخ، ولكنها ظلَّت على اندفاعها خلف المكوك وقد قصرَت المسافة بينهما.

ووضعَت «إلهام» يدَها فوق فمِها تمنع نفسَها من الصراخ وهي تشاهد الصواريخ الستة الجهنمية تندفع خلفهم ...

وقال «أحمد» في يأس: لا فائدة!

ولكن ... وفي نفس اللحظة، وفي أقل من جزء على الثانية اندفعَت ثلاث طائرات بسرعة هائلة من مكان ما وانقضَّت على الصواريخ بطلقات صاروخية ممكنة ... وانفجرَت الصواريخ الستة قبل اصطدامها بمكوك الشياطين ... كانت نجدةً من السماء!

وحدَّق «عثمان» في الطائرات الثلاث ذاهلًا، وقال غير مصدق: إنهم بقية الشياطين!

وانقضَّت طائراتُ الشياطين الثلاثة على الطائرات الست المهاجمة، وأطلقَت كلٌّ منها صاروخًا نحو إحدى الطائرات، وبوغتَت الأعداء بالهجوم ولم تستطع الهرب من الصواريخ؛ فانفجرَت ثلاثٌ منها بعد إصابتها ...

واندفعَت بقيةُ الطائرات المعادية على طائرات الشياطين وتركَت مطاردة المكوك إلى أن تنتهيَ من مواجهة طائرات الشياطين.

وكان هذا ما يريده بقيةُ الشياطين من الطائرات، صرف انتباه الطائرات المعادية عن المكوك حتى يتسنَّى له الهبوط بسلام، وعندما تأكد بقية الشياطين في الطائرات الثلاث من تحقُّق هدفهم، اندفعوا نحو طائرات الأعداء وانهال منهم سيلٌ من طلقات الرصاص والصواريخ وانفجرَت طائرة رابعة من طائرات الأعداء ... وأطلقت الطائرتان الباقيتان صاروخَين ولكن الشياطين فجَّروهما بصاروخَين مضادَّين «جو ... جو» ... ثم انقضَّت طائرات الشياطين في لحظة واحدة على الطائرتَين المهاجمتَين، وبثلاثة صواريخ انفجرَت الطائرتان في الهواء وهوتَا إلى الأرض محترقتَين ...

رفع الشياطين التسعة لبعضهم علاماتِ النصر داخل الطائرات الثلاث ... ثم اندفعوا خلف المكوك لحمايته من أيِّ خطر جديد ...

ولكن، لم يكن ما يخشاه «أحمد» هذه المرة من أخطار خارج المكوك ... بل كان المكوك ذاته، فعلاوة على نفاد الوقود الذي سيستحيل معه هبوط المكوك في مكانه المحدد سلفًا، فإن العطب الذي أصاب جناحَ المكوك هدَّد بسقوطه وعدم السيطرة عليه، ونتج عن ذلك احتراق بعض أجهزته ودوائره الداخلية فانقطع الاتصال بالأرض ...

قال «أحمد» لرفاقه الثلاثة: إننا في مأزق حقيقي ...!

وفقد المكوك توازنَه ومال إلى جهة اليسار، ومن بعيد ظهرَت طائرةُ ركاب جامبو ضخمة تُوشك أن تصطدمَ بالمكوك المترنِّح، وصاحَت «إلهام» في فزع: حاذِر يا «أحمد»!

ووثب قلبُ «أحمد» بين قدمَيه خوفًا من اصطدامِه بالجامبو وموتِ الركاب الأبرياء، وبكل ما يستطيع من قوة جذب أجهزةَ تغيير الاتجاه، وانحرف المكوك بشدة كأنه سهمٌ مارق في آخر لحظة قبل أن يصطدمَ بالجامبو العملاقة …

تنفَّس الشياطين الصعداء … وهتفت «إلهام»: حمدًا لله … لقد اقتربنا من الحدود المصرية! ولكن في اللحظة التالية زاد ارتجافُ المكوك وبدأ السقوط لأسفل … وكانت النهاية المؤكدة هي الموت بدون أدنى شك …

وأصاب بقيةَ الشياطين الهلعُ داخل طائراتهم الثلاث، وهم يُراقبون المشهدَ المجنون بدون أن يستطيعوا التدخُّلَ أو فعْلَ أيِّ شيء لإنقاذ بقية رفاقهم …

وصاح «رشيد» في «أحمد»: لنقفز من المكوك قبل اصطدامه بالأرض …

ولكن «أحمد» تشبَّث بالأجهزة التي أمامه ولمَعت عيناه ببريق إصرار هائل وهو يقول: لن أُغادرَ هذا المكوك أبدًا … لقد أقسمنا على العودة به سالمًا، وإما أن أعودَ به أو أموتَ بداخله …

وصاح في «إلهام» و«عثمان» و«رشيد»: إذا أردتم مغادرتَه فلا يزال هناك وقتٌ … ولكن «إلهام» صاحَت به: كيف نغادره ونتركك؟! إما أن نعيشَ سويًّا أو نموت سويًّا.

نظر «أحمد» إلى «إلهام» بامتنانٍ، كان بحاجة إلى تشجيع وها هو قد تلقَّاه، وعلى الفور ارتفعَت معنوياتُه إلى القمة … وكانت الطريقة الوحيدة للسيطرة على الأمر هي أن يضعَ أعصابه في ثلاجة، وكأن الأمر لا يعنيه هو، أو كأنه يشاهد حدثًا خارجًا على شاشة التليفزيون … وليس هو البطل الحقيقي …

واصَلَ المكوك اندفاعَه المجنون نحو الأرض التي اقتربَت بسرعة مذهلة، واعتدل «أحمد» به في آخر لحظة قبل الاصطدام بالأرض وارتفع بالمكوك مرة أخرى … وكان «أحمد» يعرف استحالةَ هبوطه فوق مساحات الرمال الشاسعة التي ظهرَت تحته، فسوف تغوص عجلات المكوك في كثبان الرمال وينفجر المكوك بشدة …

واصَلَ المكوك اندفاعَه وصعودَه بجنون … وفجأةً اهتزَّ بشدة ثم اعتدل في طيرانه فترة قصيرة، وبدأ بعدها الهبوط لأسفل بقوة … وببطء …

والتفت «أحمد» إلى رفاقه، قائلًا: لقد نفد الوقود … إننا تحت رحمة الرياح … سأحاول الهبوطَ كأيِّ طائر كبير … وأرجو أن أتمكَّن من السيطرة على المكوك …

حبس الشياطين الثلاثة أنفاسَهم ... واندفع المكوك لأسفل مرة أخرى، وظهرَت الأرض سريعًا وكان هناك شريطٌ أسود طويل يمتدُّ تحتهم، أدرك أحمد أنه طريق صحراوي للسيارات أرسلَته العنايةُ الإلهية إليهم، أو أرسلهم إليه! ...

واستقام «أحمد» بالمكوك فوق الطريق، واندفع المكوك بقوة ولمسَت عجلاته الأرض الإسفلتية وارتفعت قليلًا ثم عادَت للهبوط ثانية ... واندفع المكوك بسرعة كبيرة فوق الطريق الصحراوي، وجذب «أحمد» الفرامل بقوة، وأخذَت سرعةُ المكوك تتناقص حتى هدأَت وتوقَّفَت تمامًا ...

لم يصدِّق الشياطين أنفسهم واحتضنوا بعضهم بشدة وهم في فرح وسرور ... لقد كُلِّلَت مهمتُهم بنجاح وهبطوا بالرغم من كل شيء ...

ومرَّت طائرات الشياطين الثلاثة فوق رءوسهم في حركات بهلوانية كأنها تُشاركهم فرحتهم، ثم اختفَت بعيدًا في الأفق ...

وتساءلَت «إلهام» بدهشة: أين ذهب بقية الشياطين بطائراتهم؟!

قال «أحمد» ضاحكًا: إن هذا الطريق الصحراوي ليس مخصصًا لهبوط الطائرات على أي حال ... ربما يشاهدنا شرطي مرور الآن فيحرر لنا مخالفة!

انفجر الشياطين ضاحكين، وعلى البُعد ظهرَت قافلة ضخمة من السيارات، وتبادل الشياطين الأربعة النظرات القلقة.

وقالت «إلهام» بتوتر شديد: سوف يُفتضَح الأمر لو شاهد أيُّ غرباء المكوك ...

ابتسم «عثمان» ابتسامةً واسعة، وهو يقول: لا أظن ... إن رقم «صفر» لا يترك شيئًا للصدفة أبدًا، أظن أن هذه القافلة المقبلة تخصُّنا ...

وكان «عثمان» محقًّا؛ فقد توقَّفَت القافلة وهبط منها عددٌ كبير من العمال انتشروا كالنمل حول المكوك، وسرعان ما كانوا يُغطُّونه بجدران من الخشب ... وعندما انتهوا من عملهم كان المكوك قد غُطِّيَ بما يُشبه جدران سيارة نقل ضخمة أُخفيَت كلُّ جزء منه، وراقب الشياطين العمل باسمينَ بدون أن يعترضوا العمال الصامتين ...

واقترب رئيس العمال من الشياطين وقال لهم: إن هناك رسالة لكم.

اندفع الشياطين الأربعة إلى سيارة رئيس العمال، ورفع «أحمد» جهاز اللاسلكي القوي بداخلها.

وكانت الرسالة من رقم «صفر» تقول: «قمتم بعمل خارق! تهنئتي لكم ... لا تقلقوا بشأن المكوك فسيصل مَن ينقلكم إلى المقر السري بسرعة ... انتهى.»

انتهَت الرسالة وتبادل الشياطين ابتسامةً عريضة، وما لبثَت القافلة الكبيرة أن سارَت تخترق الطريق الصحراوي حيث سيتم نقلُ المكوك في نقطة ما بداخلها إلى القاعدة الأرضية بطريقة ما ... فقد كان رقم «صفر» رجلًا واسعَ الحيلة ...

وظهرَت في الأفق طائرةٌ عمودية وقفَت أمامهم، فأسرعوا يركبونها، وارتفعَت بهم الطائرة متجهة إلى مقر الشياطين.

وتساءل «عثمان»: ولكن لماذا طلب رقم «صفر» سرعةَ نقلِنا إلى المقر السري؟

أحمد: أعتقد أن المسألة لها بقية ... إذا كنا قد نسفنا القمر الصناعي، فلا شك أن أعداءنا يمكنهم إرسال المزيد منه ... وأعتقد أن مهمتَنا القادمة ستكون هي نسْفَ القاعدة الأرضية التي أطلقَت «أكس٩» حتى لا تُرسل غيره ...

لمعَت عينَا «رشيد» وقال: سأكون أولَ مَن يشترك في هذه المهمة بشرط ألَّا تقلَّ إثارةً عن المهمة التي انتهينا منها حالًا ...

وكان هذا أمرًا مؤكدًا ... واندفعَت الطائرة العمودية إلى كهف الشياطين لتلقِّي أوامر المهمة القادمة ...

هنـــداوي